مدينة خانقو في العصور الوسطى

قاسم عمر علاوي *

تأريخ التقديم: 2019/5/23 تأريخ القبول: 2019/6/30

المستخلص :

احتوت قارة اسيا في العصور الوسطى على عدد من المدن المهمة التي كان لها اثرها في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ومنها، مدينة خانقو التي تعد من اهم المدن الصينية في العصور الوسطى أذ كانت من المراكز التجارية المهمة في الصين والعالم ، والمكان الذي تجتمع فيه الجاليات من مختلف انحاء العالم، وكان لسياسة حكامها وتسامحهم دوراً كبيراً في ازدهارها الاقتصادي، وقد انعكس ذلك على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، ونظراً لتلك الأهمية والموقع الاستراتيجي الذي حظيت به اصبحت محط صرعات للأسر الحاكمة في الصين أدت لخراب المدينة مرات عديدة، ومن هنا تتبين أهمية الموضوع وسبب اختياره والموسوم بـ (مدينة خانقو في العصور الوسطى)، وقد تم تناوله وفق منهج العرض والوصف التاريخي من خلال عرض الحقائق ومناقشتها.

وقد قسمت البحث الى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة وملحق وقائمة مصادر ومراجع، تطرقنا في المبحث الأول الى جغرافية المدينة وتسميتها وموقعها وتضاريسها ومناخها، اما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه الحياة الاجتماعية والدينة وما تتضمنه من سكان وعادات وتقاليد وديانات، في حين سلطنا الضوء في المبحث الثالث عن الحياة السياسية متطرقين في ذلك لنوع الحكم والإدارة وعلاقاتهم الخارجية والاوضاع الداخلية ، اما المبحث الرابع فقد استعرضنا فيه الحياة الاقتصادية للمدينة من زراعة وصناعة وتجارة، في حين استعرضنا في المبحث الخامس الحياة الثقافية والحضارية.

---

* مدرس مساعد / **باحث وأكاديمي** .

الكلمات المفتاحية : حريات؛ تجار؛ جاليات

المبحث الأول: _ جغرافية المدينة

تمتاز كل مدينة من المدن بجغرافيتها متمثلة بتسميتها وما تحتويه من مظاهر سطحية كان لها الأثر على الحياة العامة بمختلف مفاصلها واهم ما تتضمنه جغرافيتها:

1_ التسمية

أطلقت على مدينة خانقو عدة تسميات وذلك يعود لاختلاف لفظ المدينة لدى الكتاب والجغرافيين والرحالة على مختلف العصور، فهم يطلقون التسمية المتداولة على السن الناس خلال مدة تواجدهم، ومن اقدم تسمياتها " **خانفو**" [1]، ويسميها المسعودي(المتوفي 346هـ)[2] " **خانقوا**" واطلق عليها جغرافيين اخرين بـ " **خانقو**" وهي التسمية الأكثر شهرة في تلك العصور [3]، وسميت بـ " **كانتون**" وهي تسمية حديثة جاءت من تسمية العرب لها سيما التجار وقد اعتمدتها المراجع الحديثة[4] ويطلق عليها باللغة الصينية

(1) سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان ، تحقيق: سيف شاهين المريخي،ط1، (مركز زايد للتراث والتاريخ _ العين:2005م)، ص41؛ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، المسالك والممالك، (دار صادر _ بيروت:1889م)، ص69؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي،ط1،(عالم الكتب _ بيروت:1996م)،68.

(2) أبو الحسن على بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: اسعد داغر، (دار الهجرة _ قم: 1989م) ،156/1.

(3) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)،(اكاديمية المملكة المغربية _ الرباط:1997م)،151/4؛: سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، ط1،(مكتبة الثقافة الإسلامية _ القاهرة:2008م)،ص131.

(4) وِل ديورَانت ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، (دار الجيل _ بيروت: 1988م) ،216/4.

" قوانغ تشو/Kouang_ tchou" او " جوانج زهو/Guang _Zhou " [1]، اذاً حملت تسميات عديدة وذلك تبعاً لاختلاف الالسن واللهجات والزمن، وسوف نعتمد تسمية خانقو كتسمية مستمرة على طول دراستنا هذه وذلك لشهرتها.

2_ الموقع والمساحة

تقع مدينة خانقو جنوب الصين على نهر اللؤلؤ او ما يسمى نهر الجوهر " زهو جيانج/Zhu _ Jiang" على اطراف بحر الصين العظيم[2]، تمتاز بمساحتها الواسعة اذ يفصل بينها وبين المدن المحيطة بها عدة أيام ، كما يفصلها عن بحرها مساحة واسعة مما جعلها ذات محاصيل متنوعة وقد وصفت من قبل الجغرافيين الرحالة، اذ قال عنها ابن الوردي (المتوفي852هـ)[3] " وهي اعظم مدن الصين" في حين وصفها الرحالة ابن بطوطة(المتوفي 779هـ)[4] " وهي من اعظم مدن الدنيا" اذاً تعد مدينة خانقو من اهم واكبر المدن في الصين في العصور الوسطى لا بل ومن اهم المراكز التجارية الكبرى في العالم، ينظر الخارطة الملحقة بالبحث.

3_ السطح والمناخ

تنوعت مظاهر السطح لمدينة خانقو وذلك لسعة مساحتها، ومن اهم مظاهرها السطحية الموارد المائية متمثلة ببحر الصين الذي يربطها بالعالم الخارجي ، فضلاً عن عدد من الأنهار ابرزها نهر الجوهر الذي امتاز بسعته وعظمته اذ يفوق نهر دجلة والفرات

(1) عيساني شفيقة ،شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين الفترة ما بين القرن الثالث الى الثامن الهجري / من التاسع الى الرابع عشر ميلادية، (رسالة ماجستير غير منشورة _ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر: 2010م) ،ص57.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، ط2، (مؤسسة ناصر للثقافة _ بيروت: 1980م) ،ص210؛ عيساني، المرجع السابق،ص57.

(3) المصدر السابق، ص131.

(4) المصدر السابق، 152/4.

وعليه تقع المدينة [1]، كما امتازت بوجود السهول والتلال والسلاسل الجبلية ومن ابرز جبالها "تشينيغو/Tshynighu " و "جوليان/Julian " و"لوفو/lwfu " [2].

اما مناخها فقد غلب عليها مناخ جنوب الصين اذ امتازت بمناخ استوائي وشبه استوائي اذ امتازت بالجفاف والبرودة في فصل الشتاء بفعل الرياح الموسمية الشمالية، في حين اشتهر صيفها بارتفاع الحرارة والرطوبة وغزارة الامطار اذ تتراوح درجات الحرارة فيها من (19_25درجة مئوية) مع صيف طويل وذلك بفعل الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية[3].

لقد كان لهذا التنوع في مظاهر السطح والمناخ أثره على تنوع المحاصيل الزراعية والنبات الطبيعي اذ كانت خانقو ذات بساتين كثيرة الى جانب الغابات الكثيفة والتربة الصالحة للزراعة وتوفر المياه سواء من نهر الجوهر او الامطار الكثيرة.

المبحث الثاني: _ الحياة الاجتماعية والدينية

كان لموقع المدينة أثره على الحياة الاجتماعية اذ احتوت على أنواع متعددة من السكان وبالتالي تنوع العادات والتقاليد والديانة، فهناك السكان الاصليون من الصين، وهناك الجاليات الوافدة للمدينة من مختلف انحاء العالم اذ قال الحميري(المتوفي 900هـ)[4] عن تنوع سكانها " وبهذه المدينة خلائق من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم من اهل الصين" ويبلغ عدد الجاليات المسلمة حوالي مائتي ألف نسمة وهو عدد كبير جداً وقد منحت تلك الجاليات حرية ممارسة معتقداتها الدينة وحرية التنقل والإقامة وفق ما موجود من قوانين تطبق على جميع سكان المدينة، فقد كان حاكم المدينة يولي رجلاً مسلماً الحكم بين المسلمين وإدارة شؤونهم وكذلك امامتهم في صلاة العيد ويخطب يوم الجمعة لهم ويدعو

(1) أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي، رحلة السيرافي، (المجمع الثقافي _ أبو ظبي: 1999م) ،ص54؛ الحميري، المصدر السابق، ص210؛ عيساني، المرجع السابق،ص57.

(2) شيوى قوانغ، جغرافية الصين ، ترجمة: محمد أبو جراد، ط1، (باي وان تشوانغ _بكين: 1987م) ،ص147_148.

(3) قوانغ، المرجع نفسة ،ص 147_148.

(4) المصدر السابق،ص210.

لسلطان المسلمين ولا ينكر عليه شيء من علمة واحكامه بما في كتاب الله واحكام الإسلام[1].

اما عن الديانات فأبرزها الديانات التي كان يعتنقها الصينيون وهي عبادة الاصنام والطبيعة وقد ذكر ذلك ابن بطوطة[2] اذ قال "وأهل الصين كفار يعبدون الاصنام"، ومن الديانات الأخرى الكونفوشية[3]، والطاوية[4]، والبوذية[5] وهي ديانات السكان الأصليين، اما الديانات السماوية فاليهودية والمسيحية والإسلام وهي ديانات تعتنقها

(1) التاجر ، المصدر السابق ،ص36؛ جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل العصور الوسطى، ترجمة: السيد يعقوب بكر، (مكتبة الانجلو المصرية _ القاهرة: 1958م) ،ص194، 216_217؛ عبد الله إبراهيم ، عالم القرون الوسطى في اعين المسلمين ، (المجمع الثقافي _ أبو ظبي: بلا .ت) ، 2/ 84؛ فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان، ط3، (مطابع غباشي _ طنطا: 1997م) ،ص25.

(2) المصدر السابق،127/4.

(3) هي مجموعة من المعتقدات والمبادئ في الفلسفة الصينية، طُورت عن طريق تعاليم كونفوشيوس الذي يعرف بـ (كهونج/Khung) الذي يعد المؤسس لها ثم اصبح له اتباع ، تتمحور في مجملها حول الأخلاق والآداب، طريقة إدارة الحكم والعلاقات الاجتماعية بعدها تطورت الى ديانة بحدود سنة 195ق.م: جوزيف نيدهام، موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ترجمة: محمد غريب جودة،(الهيئة المصرية العامة للكتاب _ مصر: 1995م)،ص135_146.

(4) وهي احدى ديانات الصين وواضع هذه الديانة هو (لا وتسو /Lao Tzu) ومعناها السبيل او المنهج او الطريق. مجموعة مؤلفين، موسوعة الأديان الميسرة، ط1، (دار النفائس _ بيروت:2001م)، ص347.

(5) احدى الديانات التي توجد في الصين وتعود الى مؤسسها جوتاما بوذا وهي تدعو الى تزكية النفس وتحريرها من الشهوات دخلت الصين في القرن الأول الميلادي : نيدهام ، المرجع السابق،ص429؛ احمد شلبي ، اديان الهند الكبرى،ط11،(مكتبة النهضة المصرية _ القاهرة:2000م)،ص131,

Snyder David, The complete Book of Buddhists. .Explaind, (Lasvegas, Nevada: 2009), p.93

الجاليات التجارية، وكان الإسلام ابرزها واسرعها انتشاراً عن طريق التجار الذين وضعوا على عاتقهم نشره بين الصينيين[1].

اما العادات والتقاليد فهي متنوعة فمنها عادات دفن الموتى فهناك من يقوم بحرق الموتى كما يفعل الهنود وهناك من يقوم بدفنهم كما يفعل المسلمون سيما الملوك ويبكون موتاهم لفترات طويلة تصل ثلاثة سنوات وهناك عقوبة لمن لا يبكي موتاه ويقدمون لهم الطعام على أساس انهم يأكلون[2].

اما نسائهم فهن يكشفن رؤوسهن ويجعلن فيها الامشاط فربما كان في راس المرأة عشرون مشطاً من العاج، اما الرجال فيلبسون فوق رؤوسهم غطاء يشبه القلنسوة، ومن عاداتهم صغاراً وكباراً لبس الحرير شتاءاً وصيفاً وكان الملوك يلبسون الجيد منه وعندما يحل الشتاء يلبس الرجال سروالين الى خمسة وأكثر لشدة برودة الطقس واما في الصيف فيلبسون واحداً من الحرير[3].

الدعارة مباحة لهم ولكن يجب الحصول على موافقة الملك بعدها يصبح الامر مباحاً لهم فاذا ولدت النساء ذكوراً نتيجة لذلك خصوا واستخدموا من قبل الملك في داره وأعماله، اما إذا ولدت انثى فهي على رسم أمها، ومن عاداتهم توريث النساء أكثر من

(1) السيرافي ، المصدر السابق، ص34؛ عمار مرضي علاوي، اثر التجار في الحضارة العربية الإسلامية ط1، (صفحات للدراسات والنشر والتوزيع _ دمشق:2018م)، ص 61؛علاوي مزهر مزعل المسعودي، انتشار الإسلام في جبوب اسيا وجنوب شرقها، (مجلة ادأب الفراهيدي) ، ع3، لسنة 2010م، ص 328؛ افتخار عبد الحكيم رجب العكيدي واخرون، الأديان والمعتقدات في الصين، (مجلة الدراسات التاريخي والحضارية) ، تكريت ، مج4، غ،13، لسنة 2013م،ص 12_13.

(2) السيرافي، المصدر السابق،ص34، ابن بطوطه، المصدر السابق، 127/4.

(3) التاجر ، المصدر السابق، ص 42_43.

الرجال، ولهم عيد لمدة سبعة أيام تجري فيه الاحتفالات وتقدم المأكولات والمشروبات[1] ، ومن العادات الزواج بأكثر من امرأة[2].

اما طعامهم فهو الأرز والالبان والنارجيل وخبز الحنطة ولحوم سائر الحيوانات من خنزير وغيرها ، ولهم من الفاكهة التفاح والخوخ والرمان و السفرجل والكمثري والموز وقصب السكر والبطيخ والتين والعنب ....الخ، ولا يشربون الخمر ويأكلون الميتة، [3]، وهم قليلي النظافة لا يعتنون بها كثيراً [4].

اما عن مساكنهم فقد بنيت من الخشب ويتفننون في استخدامه فكانت على تصاميم مختلفة وكثيراً ما تتأثر بالحرائق ومن أشهر المنازل في المدينة هو قصر الملك الواقع وسطها ويتكون من سبعة أبواب وهو محمي بشكل جيد[5].

اما الجاليات التي تسكن عندهم فلهم عاداتها وتقاليدها واعيادها ولهم الحرية في ممارسة ذلك، فلا يتم التدخل بشؤونهم الخاصة وقد جعل الملك اشخاص من نفس ملتهم يقومون على أمور ادارتهم لذا تنوعت الديانات والتقاليد والعادات في خانقو بفعل الحرية الممنوحة للجميع من قبل الاسرة الحاكمة وهذا ما انعكس ايجابياً على جذب الجاليات التجارية للمدينة[6].

المبحث الثالث: _ الحياة السياسية

---

(1) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، (دار الغرب الإسلامي _ بيروت: 1992م) ،258/1.

(2) التاجر، المصدر السابق، ص57.

(3) التاجر ، المصدر نفسه ، ص42_43؛ محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (دار الكتب _بيروت:1989م) ،84/1.

(4) التاجر، المصدر السابق، ص43.

(5) ابن بطوطة، المصدر السابق،152/4؛ حسين فوزي ، حديث السندباد القديم، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر _ القاهرة: 1943م) ،ص26.

(6) الحميري، المصدر السابق،ص210؛ حوراني، المرجع السابق، ص194.

تتمثل السياسة بالسلطات الحاكمة وإدارة المدينة وهي من العوامل التي تعكس اثرها على نواحي الحياة الأخرى فمتى ما كانت السلطات الحاكمة عادلة عم الرخاء وازدهرت المدن بكافة مظاهر الحياة والعكس، ففي مدينة خانقو كان نظام الحكم ملكياً يطلق على الملك لقب " ديفو" وهو لقب يطلق على من يملك مساحات كبيرة ومنهم ملك خانقو[1]، وعند وصول ابن بطوطه[2] للمدينة ذكر ان ملكها يلقب " بالقان" وربما هي تسمية لكل من يلي الملك اما صاحب الملك الكبير فهي "ديفو" كما أورده السيرافي (المتوفي 330هـ) وله قاضي يدعى " مامكون" وخدم خصي يدعى الواحد منهم " الطوقام" ومن يتولى الحكم من الملوك يجب ان يكون قد بلغ سن الأربعين ذكر الصينيون " قد حنكته التجارب" وللملوك مستشارين وحجاب ترفع لهم قضايا الناس ومعاملاتهم، والملوك يظهرون كل عشرة اشهر للعامة حتى لا يستخف الناس بهم [3]،وملك خانقو ذو هيبة وعلى مربطه ما يزيد على الف فيل وجنوده كثيرة وله مملكة شامخة [4].

اما عن الأوضاع السياسية للمدينة فقد كانت مستقيمة منذ تأسيسها و استمر ذلك لمدة طويلة، حتى قام احد المتمردين من خارج بيت المملكة ويدعى "يانشو" والبعض الاخر يطلق علية " هوانج تشاو/ Huang ch'ao" فاجتمع اليه اهل الدعارة والشر فدخل مدينة خانقو واستباحها، وقد قتل من المسلمين واليهود والمجوس فيها مائتي الف، وانما حصي ذلك لان ملوك الصين تحصي من في مملكتها وتكتب ذلك في دواوين وعلى تلك الدواوين موظفون خاصون، بعد ذلك استطاع الملك استجماع قواته ومهاجمة يانشو المتمرد وقتله واستعادة ملكه[5].

---

(1) السيرافي ، المصدر السابق، ص41.

(2) المصدر السابق،151/4.

(3) السيرافي ، المصدر السابق، ص41.

(4) ابن الوردي، المصدر السابق،ص131.

(5) البكري، المصدر السابق،257/1؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، المختصر في أخبار البشر،ط1، (المطبعة الحسينية المصرية: د.ت) ،251/2؛ حوراني، المرجع السابق ، ص225.

وذكر ابن بطوطة عند وصوله الى مدينة خانقو ان ملكها ويسميه السلطان كان في حرب مع ابن عمه، وكان جيش ملك خانقو يتكون من مائة فوج كل فوج عشرة الاف فارس وعلى راسهم الأمير بي طومان، ومن اهله وخاصته خمسين ألف وعلى الرغم من تلك الاعداد الهائلة الان ان الملك خسر المعركة بسبب تامر الامراء عليه بسبب مخالفته لأسس الحكم التي قامت عليه مملكته وتم قتل الملك وتنصيب اخر[1].

اما عن علاقاتهم مع الهند وبلاد العرب فكانت علاقات سلمية يسودها الاحترام وتبادل السفارات والهدايا، وكان على راسها العلاقات التجارية فقد كان لخانقو علاقات مهمة مع الهند كونها تعد احدى اهم المناطق التجارية مع الصين وفي ذلك قال الحميري[2] " وتأتي الى خانقو سفن...ومدن الهند وجزائره بالأمتعة" كما انها أصبحت خلال فترات متفاوتة سوقاً للبضائع الصينية سيما كله بار[3] في مدة الاضطرابات اذ أصبحت الهند الوسيط بين العرب والصين، وكان الهنود شديدي الاحترام لملوك الصين ويجبون طاعتهم خاصة في مدينتي كولم ملي[4] وكله بار[5].

اما مع العرب فقد كانت علاقاتهم قديمة ، وتطورت كثيراً بعد ظهور الإسلام فقد كان ملك خانقو شديد الاحترام للعرب المسلمين فملوك الصين يجمعون على ان ملوك الدنيا

---

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق،4/154_155.

(2) الحميري، المصدر السابق،ص210.

(3) فرضة بالهند وهي منتصف الطريق بين عمان والصين وموقعها من المعمورة في طرف خط الاستواء. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، ط2، (دار صادر _ بيروت: 1995م) ،4 /478.

(4) مدينة عظيمة بأرض الهند، وهي اخصب بلاد الهند وأكثرها فوائد واطيبها رائحة. : ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، (مكتبة الثقافة الدينية _ بورسعيد: د.ت)، ص19؛ القزويني، المصدر السابق، ص106.

(5) مسعر بن المهلهل الخزرجي، رحلة ابي دلف، تحقيق: جنان عبد الجليل محمد الهماوندي، (دار الكتب الكتب العلمية _ بيروت: 1971م) ، ص41_42؛ زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (دار صادر _ بيروت: د.ت) ،ص105؛ شمس الدين الكيلاني، صورة شعوب الشرق الأقصى في الثقافة العربية الوسيطة ، (وزارة الثقافة _ دمشق: 2008م) ، ص202.

أربعة فأول من يعدون من الأربعة ملك العرب بالأجماع ولا اختلاف بينهم على مكانته فهو اعظم الملوك واكثرهم مالاً وابهاهم جمالاً وانه ملك الدين الذي ليس فوقه شيء، ثم بعد ذلك ملك الصين[1] ، وقد منح العرب حرية كاملة في خانقو بدليل الجاليات الكبيرة للمسلمين ، وكان هناك تبادل للهدايا والزيارات الدبلوماسية في العصر الاموي (41_132هـ/662_750م) في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (96_99هـ/715_717م)، وفي العصر العباسي(132_656هـ/750_1258م) أصبحت العلاقات امتن، وقد استمرت حتى احداث خانقو بعد القضاء على اسرة تانغ سنة (906م)[2]، وبعد تولي اسرة سونغ (349_678هـ /906_1279م) عملت على تحسين العلاقات التجارية مع الخلافة العباسية بعد توليهم السلطة فقد حدث تراجع في العلاقات التجارية بسبب الاحداث السياسية والاضطرابات في خانقو التي نتجت عن توليهم السلطة ، وكان هناك تبادل للسفارات ابرزها تلك التي قام بها التجار اكثر من الخلفاء وقد مكنت تلك السفارات من حصول عدد من التجار على مكانة كبيرة لدى بلاط ملك الصين وكان هؤلاء التجار يأخذون صفة المبعوثين من قبل الخلافة وكانوا يحصلون على الهدايا القيمة كما يقومون بدورهم بتقديم الهدايا للملوك وعلى راسهم سفارة التاجر إبراهيم بن إسحاق (384_385هـ/994_995م) وهو تاجر عربي كبير ومعروف كما قام بأرسال ابي عبد الله سنة 385(385هـ/995م) بصفته مرسلاً من قبله[3] ،كما استقبل ملك خانفو احد افراد الاسرة الهبارية بعد ان علم بصلة قرابته للرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) وهذا يدل على احترامهم للمسلمين ورسولهم (عليه الصلاة والسلام)[4].

---

(1) التاجر، المصدر السابق،ص45.

(2) الكيلاني، المرجع السابق،ص13.

(3) مروة صلاح الدين محمد، تشجيع التجارة بين الشرق الإسلامي والصين في عصر الدولة العباسية (132_656هـ /749_1258م) ، (المؤتمر الدولي الرابع حول العلاقات العربية الصينية التاريخ والحضارة _ كلية الآداب ، جامعة السويس _ مصر: 2012م) ،ص304؛ قوه ينغ ده، تاريخ العلاقات الصينية العربية، ترجمة: تشانغ جيا مين، (مجلة الصين اليوم الالكترونية) ، ع5، لسنة 2002م.

(4) البكري، المصدر السابق، 259/1.

وكانت السفن الصينية تأتي لموانئ الخلافة العباسية سيما البصرة والابلة[1] وسيراف محملة بالأمتعة وتذهب محملة أيضا، وكان للعلاقات السلمية والطيبة ابرز العوامل التي ساعدت على استمرار وازدهار التجارة بين الطرفين، كما ان تسامح الطرفين كان من العوامل المهمة لاستمرار تلك العلاقات، كما كانت هناك علاقات بين موانئ البحر الأحمر والساحل الافريقي مع الصين فقد كانت سفن الطرفين ترسوا محملة بالبضائع سواء في خانقو او موانئ البحر الأحمر والساحل الافريقي [2].

اذاً كان لسياسة ملوك وحكام خانقو وتسامحهم والحرية التي منحوها للجاليات، وتشجيعهم للتجارة دوراً كبيراً في تحسين وازدهار مدينة خانقو على كافة الأصعدة لتكون من أفضل المدن في ذلك الوقت.

المبحث الرابع: _ الحياة الاقتصادية

يعد العامل الاقتصادي من اهم مقومات ازدهار المدن وتطورها ورفع المستوى المعيشي لسكانها وينعكس ذلك على جوانب الحياة الأخرى، وكان الموقع الاستراتيجي للمدينة واتصالها بالعالم عن طريق البحر ووفرة المياه ووجود التربة الصالحة للزراعة وتوافر المواد الأولية اثره في ازدهار الحياة الاقتصادية في خانقو.

وكان لوجود نهر الجوهر وتوفر التربة الصالحة والسهول من اهم أسباب قيام الزراعة في خانقو فقد تنوعت الزراعة فيها بين بساتين الفاكهة من مختلف الأنواع وقصب السكر وكذلك الحبوب وعلى راسها زراعة القمح والأرز وغيرها من المنتجات التي تدخل في الصناعة والتي صدرت الفائض منها لبقية المدن سواء الصينية او العالمية، فضلا عن

(1) مدينة خصبة إلى الغرب من دجلة، يدور حولها النهر ترتفع منها المناديل والعمائم الأبلة. مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق وترجمة: السيد يوسف الهادي، (الدار الثقافية للنشر_ القاهرة: 2002م)، ص160.

(2) شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41_904هـ/661_1498م) ، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب _ الكويت: 1990م) ،ص117.

النبات الطبيعي المتمثل بالغابات الكثيرة سيما غابات شجر التوت التي تعد الغذاء الرئيسي لدودة القز [1].

اما عن الثروة الحيوانية فقد أشار اليها السيرافي[2] اذ قال "دوابهم كثيرة لهم حمير وابل كثيرة لها سنامان" كما توجد لديهم الفيلة المدربة بكثرة وهذه الحيوانات تستخدم على نطاق واسع في الحراثة ونقل البضائع وحتى في الحروب[3]،اما عن المعادن فمتنوعة منها الذهب والفضة وكذلك اللؤلؤ[4].

اما عن الصناعات فقد اشتهرت بتنوع صناعاتها فأبرزها صناعة المنسوجات كالحرير والملابس المتنوعة، فضلاً عن الصناعات الخشبية المتنوعة، والصناعات الغذائية وصناعة السفن بأنواعها فكل ميناء من الموانئ توجد فيه دار لصناعة السفن وصيانتها وكذلك صناعة الكاغد "الورق" والبورسلين [5] ومن الصناعات ما ذكره السيرافي[6] اذ قال " الغضار [7]الجيد، ويعمل منه أقداح في رقة القوارير يرى ضوء الماء فيه، وهو من غضار " ، اذاً امتازت خانقو بتنوع صناعاتها وقد انعكس ذلك على الحياة الاقتصادية فيها وقد صدرت الكثير من تلك الصناعات الى بلدان العالم المختلفة.

---

(1) ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص69؛ الحميري، المصدر السابق،ص210؛ قوانغ، المرجع السابق، ص148.

(2) المصدر السابق،39.

(3) ابن الوردي، المصدر السابق،ص131.

(4) السيرافي، المصدر السابق،ص38.

(5) السيرافي، المصدر نفسه،ص39؛ ابن بطوطة، المصدر السابق،152/4؛ فوزي، المرجع السابق،ص26؛ عثمان، المرجع السابق،ص101،161؛كوركيس عواد، ،الورق أو الكاغد: صناعته في العصور الإسلامية، (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج٢٣، ج٣ ، لسنة ١٩٤٨م) ،ص413.

(6) المصدر السابق،ص39.

(7) الغَضَارُ: الطِّينُ الحُرّ، وَقِيلَ الطِّينُ اللّازب الأَخضر. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، (دار صادر _ بيروت: 1993م)،23/5.

وفيما يخص التجارة فقد كان لموقع المدينة أثره في ازدهار الحركة التجارية فهي تقع على نهر يصلها بالبحر ، مما ساعدها على ديمومة الحركة التجارية فيها هذا فضلا عن توافر المواد الأولية والمنتجات ووجود احد اكبر الموانئ فيها قد ساهم بشكل كبير في ازدهار التجارة وتطورها ، فالإدريسي(المتوفي 560هـ)[1] يصف مينائها اذ قائلاً " اعظم مرافئ الدنيا" في حين يذكره الحميري[2] بانه " مرفأ الصين" ويتصل الميناء عن طريق خور كبير بالبحر اذ تأتي الى مينائها سفن البصرة وسيراف وعمان والهند وجزائره بالأمتعة والجهاز[3]، وكان للإدارة الجيدة لهذا الميناء دواً في ازدهار الحركة التجارية فيه فبعد وصول السفن الى الميناء يقوم الصينيون بخزن البضائع حتى تصل اخر سفينة ، وقد يستمر الخزن لمدة ستة اشهر بعدها تخرج البضائع ، وما يحتاج الملك من البضائع يأخذها بأعلى الأسعار ولم يظلم التجار ومما يأخذون الحكام الكافور والمنا بخمسين فكوجاً والفكوج الف فلس واذا لم يأخذ الملك الكافور فانه يباع بنصف السعر مما يأخذه الملك[4].

ومن أراد السفر والمتاجرة وجب عليه الحصول على اذن وكتابين احدهما من الملك والثاني من الخصي ، فأما كتاب الملك فهو للطريق باسم الرجل ومن معه وعمره وعمر من معه ومن أي قبيلة وهل هو من الصين او العرب وغيرهم ، واما كتاب الخصي فبالمال وما معه من متاع وذلك لان في طريقه مسالح ينظرون في الكتابين، فاذا ورد عليهم احد يكتبون ورد علينا فلان بن فلان في اليوم والشهر والسنة ومعه كذا لئلا يذهب من مال الرجل ومتاعه شيء ضياعاً فمتى ذهب منه شيء علم بما ذهب منه واعيد له او الى ورثته اذ توفي [5].

---

(1) المصدر السابق،84/1.

(2) المصدر السابق،ص211.

(3) الادريسي، المصدر السابق،97/1.

(4) حوراني، المرجع السابق،ص217؛عثمان، المرجع السابق،ص180؛ حيدر بن سعيد البادي، دور عمان في منطقة المحيط الهندي وشرق افريقيا من القرن الثاني الهجري الى القرن السادس الهجري/ الثامن الى القرن الثاني عشر الميلادي، (أطروحة دكتوراه غير منشورة _ جامعة تونس: 2006م) ،ص223.

(5) السيرافي، المصدر السابق،ص43؛ محمد ، المرجع السابق،ص306.

وكان اهل الصين ينصفون في الدين فقد كانت هناك كتب بين الدائن والمدين وعليها بصماتهم فاذا اصبح هناك اختلاف بين الطرفين طلب من يحكم بينهم تلك الكتب لأثبات كلام كل منهم [1].

كما احتوت المدينة على أماكن لسكن التجار، وقد وصفها التاجر(المتوفي237هـ)[2] بانها " مجتمع تجارات العرب واهل الصين " ان الوصف الوارد يشير على وجود الجاليات التجارية العربية الكبيرة في المدينة .

واشتهرت المدينة بوجود الأسواق على ضفتي النهر فعلى أحد جانبيه توجد أسواق العرب والفرس اما على الجانب الاخر فتوجد أسواق اهل المدينة ويوجد جسر يصل بين السوقين، ويتميزون بالأمانة وصدق اللهجة واذا جن الليل قرعت الطبول في الجانبين وانصرف كلا الفريقين الى مساكنهم فمن وجد بعد ذلك في السوق ادب وغرم[3]، وقال الادريسي[4] عن أسواقها "وهي مدينة بها أسواق كثيرة" وتستخدم عملات الذهب والفضة في معاملاتهم [5]، فكانت الادارة الجيدة للميناء وكثرة الأسواق احد اهم الأسباب في ازدهار الحياة التجارية في المدينة.

وترتبط المدينة بشبكة من الطرق البرية والبحرية كان لها الأثر البالغ في ازدهار التجارة فيها، فالطرق تشكل عصب التجارة ودونها لا يوجد هناك تجارة ومن اهم الطرق

1_ الطرق البرية : ارتبطت خانقو ببقية المدن المحيطة بها بشبكة من الطرق البرية ابرزها الطريق الذي يربطها بمدينة لوقين،اذ كانت تستخدم تلك الطرق لنقل البضائع من والى ميناء خانقو واسواقها وتختلف المسافات من مدينة لأخرى[6].

---

(1) السيرافي ، المصدر السابق،ص43.

(2) المصدر السابق،ص35.

(3) شرف الزمان طاهر المروزي، أبواب في الصين والهند والترك، (لندن: 1942م) ،ص10؛ الحميري، المصدر السابق،ص211.

(4) المصدر السابق،97/1.

(5) السيرافي ، المصدر السابق،ص38.

(6) ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص69.

2_ الطرق البحرية: اتصلت خانقو ببقية من مدن العالم بشبكة من الطرق البحرية مكنتها من تصدير واستيراد البضائع للمدينة ومن اهم تلك الطرق: _

أ_ طريق الصين الهند الخليج العربي ربط هذا الطريق بين خانقو والموانئ الهندية والعربية على ساحل الخليج العربي فقد كانت السفن تنطلق من خانقو الى الصنف[1] ثم كدرانج[2] ثم جزيرة بتومة (تنومه) [3] ومنها الى كله بار ثم سرنديب[4] وبعدها الى كولم ملي وبعدها الى موانئ عمان والبصرة وسيراف وتتخذ الطريق نفسه للعودة[5].

ب _ طريق الصين الهند البحر الأحمر وافريقيا اتصلت الصين عن طريقه بموانئ البحر الأحمر وكذلك موانئ الساحل الافريقي[6].

اما عن اهم البضائع المصدرة والمستوردة من والى مدينة خانقو فهي كثيرة، اذ كانت تصدر الحرير والقطن والمسك والكافور والتوابل [1]، فضلاً عن الخيزران والابنوس

(1) الصنف: مدينة كبيرة على بحر الصين يحكمها ملك القامرون، يؤتى منها بالعود الصنفي: مؤلف مجهول، المصدر السابق ،ص80.

(2) كدرنج: وهي احدى جزائر بحر الصين وممر الطرق الى الصين اليها وتمتاز بمياهها العذبة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقي، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، (عالم الكتب _ بيروت: 1996م) ،ص67.

(3) جزيرة تنومه: هي جزيرة عامرة ولباس أهلها الأزر وبها مياه عذبة وأرز وقصب سكر ونارجيل وبها أيضا مغاص اللؤلؤ وبجزيرة تنومه يوجد العود الهندي والكافور: الادريسي ، المصدر السابق، 82/1_83.

(4) جزيرة عظيمة في بحر هركند، بأقصى بلاد الهند. عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، (دار الجيل _ بيروت: 2002م)،710/2.

(5) التاجر، المصدر السابق،36_41؛ ج .أ. كرامز ، اخبار الصين والهند، تحقيق وترجمة: جان سوفاجيه، (دار بيبليون _ باريس :2009م)، ص30

(6) عثمان، المرجع السابق، ص68_69؛ عقيل عبد الله ياسين الربيعي، العلاقات العربية الهندية (1 (1 –416هـ/622 –1205م) دراسة تاريخية في المجالين التجاري والثقافي، (رسالة ماجستير غير منشورة _ كلية التربية – ابن رشد / جامعة بغداد: 2005م)،ص122.

والراوند الذي يدخل في صناعة العديد من العقاقير الطبية[2] فضلا عن الورق والبورسلين والدار صيني والكاغد والسروج والطاووس والعود الصنفي[3]، ويستوردون العاج واللبان وسبائك النحاس والذبل وهي ظهور السلاحف وقرون الكركند (وحيد القرن) [4].

اتضح مما تقدم انه كان للتجارة دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الاقتصادية في المدينة، وقد انعكست بدورها على الحياة الاجتماعية والثقافية من خلال جذبها للعديد من الجاليات التجارية متنوعة العادات والتقاليد والديانات والعلوم والمعارف ومن مختلف انحاء العالم، كما ساعدت على تكوين علاقات جيدة بينها وبين القوى الكبرى في ذلك الوقت متمثلة بالخلافة العباسية وقبلها الاموية، وكذلك الممالك الهندية ودويلات الساحل الأفريقي.

المبحث الخامس: _ الحياة الثقافية والحضارية

امتازت خانقو بانها من اعظم المدن وأكثرها تطوراً وانها مجتمع الثقافات المختلفة، ومن اهم المراكز الاقتصادية وقد اهتم حكامها شانهم شان بقية ملوك الصين بتشجيع العلم والمعرفة وذلك لأهميتها في تطور الشعوب اذ اعتنى اهل خانقو والصينيين اجمع بالقراءة والكتابة اذ يتعلم الغني والفقير القراءة والخط والكتابة في الصين فخانقو التي اشتهرت بإدارتها ونظمها وقوانينها كانت بحاجة كبيرة الى العلوم والمعارف للوقوف على إدارة المدينة وبالتالي تطورها، وكان يوجد فيها العديد من المعلمين لتعليم الناس [5].

---

(1) حوراني، المرجع السابق، ص 218؛ أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب _ الكويت: 1979م) ، 64؛ عبد الرحمن عبد الكريم العاني، تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى، ط1، (دار الحكمة _ لندن: 1999م) ،ص160_161 ،165.

(2) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب _ مصر: 1972م) ،ص215.

(3) عثمان، المرجع السابق، ص؛ عبد الباسط مصطفى عبد المجيد الرفاعي، طرق التجارة والتبادل السلعي من خلال والواردات والصادرات في العصر العباسي الأول، (مجلة ادأب الفراهيدي ، ع 2، السنة الأولى) ،ص404.

(4) السيرافي ، المصدر السابق،ص39.

(5) السيرافي، المصدر السابق، ص 40.

وأشهر العلوم المنتشرة العلوم الدينية المأخوذة من الهنود، والعلوم الفلكية واهميتها في معرفة المواقيت، كما اهتموا بالطب ففي كل مدينة يوجد حجر منصوب طوله عشرة أذرع مذكور فيه داء كذا دواءه كذا ويعطى من خزينة الدولة ثمن الدواء لمن لا يملك ثمنه[1].

اما الفنون المعمارية فقد تنوعت في خانقو فقد كانت محصنة وقد ذكر ذلك أبو الفداء[2] اذ قال " وهي مدينة حصينة"، كما اشتهرت بمنازلها الخشبية، وقصور حكامها ذات التصميم الهندسي الجميل فضلاً عن جسورها واسواقها الكثيرة التي لم تشير المصادر هل تأثرت بفنون العمارة الأخرى ام لا وعلى الرغم من ذلك فقد كان لعمارتها وجمال تصاميمها دوراً في تصنيفها كإحدى مدن العالم المهمة[3].

الخاتمة

اما أبرز النتائج التي توصلت اليها الدراسة فهي

1_ كان لموقع مدينة خانقو الاستراتيجي دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الاقتصادية فيها، اذ كانت من اهم محطات التجارة العالمية اذ كانت ترسوا في مينائها سفن العالم المختلفة.

2_ تنوع المواد الأولية فيها وهذا يعود الى تنوع تضاريسها ومناخها اذ بفضل هذا التنوع صدرت الكثير من منتجاتها المتنوعة.

3_ امتازت بوجود خليط سكاني، وقد انعكس ذلك على العادات والتقاليد فيها، الى جانب تنوع الديانات فيها.

---

(1) التاجر، المصدر السابق،ص54،59.

(2) أبو الفداء ، المصدر السابق ،ص51/2.

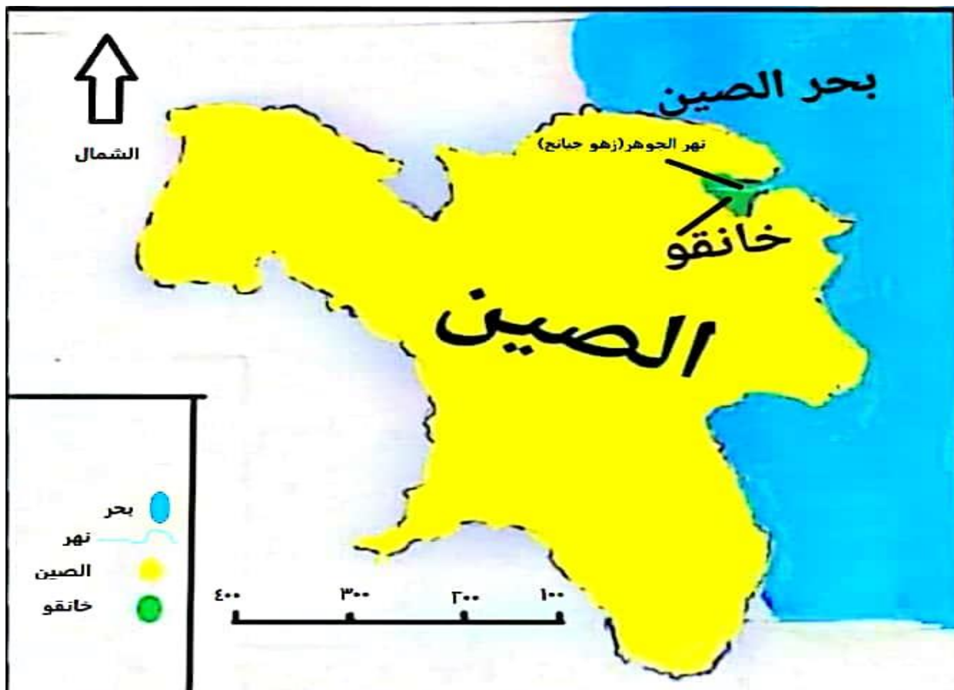
(3) ابن بطوطة، المصدر السابق،152/4؛ فوزي ، المرجع السابق ،ص26.

4_ كان لسياسة حكامها القائمة على التسامح ومنح الحريات للتجار والجاليات وحمايتهم والحفاظ على ممتلكاتهم اهم أسباب انتعاش وازدهار خانقو اذ أصبحت من المدن التي كانت تجذب التجار اليها بفضل سياسة حكامها.

5_ الاهتمام بالعلم والمعرفة كونهم الأساس في تطور الشعوب ورقيها، وكانت مدينة خانقو في مقدم المدن الصينية التي اهتمت بذلك.

الملحق

خارطة توضح موقع مدينة خانقو من الصين



من عمل الباحث

References:

- Abn Khardadhibati, AlMasalik Walmamalika, dar sadir _ birut:1889, 960 . - abn alfaqihi, albildan, tahqiqu: yusuf alhadii, ealim alkutub _ bayrut:1996, 1450 .
- 'Abu AlHasani, Murawij AlDhahab Wamaeadin AlJawhar, Tahqiqu: asead daghra, dar alhijrat _ qim: 1989, 650 .
- 'Abu Eabd AlLah AlHimyry, AlRawd AlMietar Fi Khabar Al'Aqtar, Tahqiqa: Ahsan Eabaas, muasasat nasir lilthaqafat _ bayrut: 1980, 720 .
- 'Abu Eubayd AlBakri, AlMasalik Walmamalika, dar algharb al'iislamii _ bayrut: 1992, 1100 .
- AlSharif AlAdrisi, Nuzhat AlMushtaq Fi Akhtiraq AlAfaqi, dar alkutub _birut: 1989, 680 .
- Eamar Murdi Ealawi, Athar AlTujaar Fi AlHadarat AlEarabiat Al'Iislamiati, Safahat Lildirasat Walnashr Waltawzie _ Dimashiqa:2018, 320 .
- Jurj Fadlu Hurani, AlEarab Walmilahat Fi AlMuhit AlHindii Fi AlEusur AlQadimat Wawayil AlEusur AlWustaa, tarjamatu: alsayid yaequb bakr, maktabat alanjlu almisriat _ alqahiratu: 1958, 430 .
- Misaear Bin AlMuhalhal AlKhazriji, Rihlat Abi Dilf, Tahqiqa: Janaan Eabd AlJalil Muhamad AlHamawindi, dar alkutub aleilmiat _ bayrut: 1971, 820.
- Siraj AlDiyn, Khuridat AlEajayib Wafaridat AlGharayibi, Tahqiqu: 'Anwar Mahmud Zanati, Maktabat AlThaqafat Al'Iislamiat _ alqahirati: 2008, 1340 .
- Sulayman AlTaajir, Eajayib AlDunya Waqias AlBuldan , Tahqiqu: Sayf Shahin AlMirikhi Markaz Zayid Lilturath waltaarikh _ aleayni:2005, 540. .

The city of Khangu in the middle Ages

Qassim Omar Allawi*

Abstract

The study aims to identify the city of Khanku and its social, political, economic and cultural importance by addressing its name, geographic location, terrain, population, customs, traditions and religion, as well as its system of governance and administration, its external relations and internal conditions, Which made the city of Khanku one of the most important cities of the world in the Middle Ages and the kiss of trade and gate to China at the time.

Key words : Freedoms، merchants، communities

* **Lect. Asst / Researcher and academic**